نشاطات إيران في المنطقة وعناصر قوتها

Iran's Regional Activities and its Power Elements

المؤلف: عبدالله يغين
Abdullah Yeğin

عرض: إسراء تشايلك - Reviewed by Esra Çaylak -

كان لإيـران دور مهـمّ بشـكل مبـاشر أو غـير مبـاشر في الأزمـات والصّراعـاتً المذهبية/ الدينيـة في الـشرق الأوسـط، وذلـك نتيجـة السياسـة الجيو-دينيـة التي اتبعتهـا في سياسـاتها الداخليـة والخارجية عقب الثورة في إيران. تحاول إيران ترسـيخ قوتهـا الإقليميـة ودورهـا في عمليـة إعادة تشـكيل المنطقة، التي بـدأت منذ الاحتلال الأمريكي لأفغانسـتان والعراق، وتمددت لتشمل دول المنطقة المختلفة مع الثورات العربية. وقد عملت إيران عـلى الدمج بين موروثها السـياسي التاريخي في الحكم، والمـوروث الديني المجتمعي المتمثل بالشـيعية الإمامية في عقيـدة ولاية الفقيه التي أصبحت أسـاس الحكم في إيـران، وهكذا رُسِّـخ البعد الأيديولوجي في السياسـة الخارجيـة والداخليـة الإيرانيـة. وقد أدّت إيـران التي أثّـرت في العديـد من الحـركات الإسـلامية في الشرق الأوسط بُعَيد الثورة بخطابها عن تصدير الثورة وحماية الأمـة- دورًا في تعميـق النزاعـات بسياسـاتها المذهبية والقوميـة تحديـدًا عقـب احتـلال العـراق. وهنا تجدر الإشـارة إلى أن هناك نقاشًـا متزايـدًا في الآونة الأخيرة حول ما إذا كانت فكرة (تصدير الثورة) قد اسـتهلكت ووصلـت إلى نهايتها. ومن الممكن القـول إنّ إيران في إطار مصالحها الإقليمية تسعى من خلال هذا الخطاب إلى حمايـة أمنها القومي وتعزيـز قوتها الإقليمية، وذلك باسـتخدام عناصر قوتها المتنوعـة في الدول التي تحظى بفعالية فيها، وفي هذا السـياق تبرز الحاجة لمقاربـة المحـور الإيراني في المنطقـة وتحليل صعوده. كما أن الإجابة عن الأسـئلة حول السـياق التاريخـي لصعود إيـران، والقوى الناعمة والصلبة التي تمتلكها وتستخدمها في تحقيق فاعليتها في إعادة تشـكيل المنطقة تبدو في غاية الأهمية.

يسـتند هذا الكتـاب الصـادر عن مركز سـتا للدراسات في شباط/ فبراير 2017، إلى مفهومين من أهم مفاهيم العلاقات الدولية، هما مفهوما: (القوة الناعمة) و(القوة الصلبة) في مقاربته لعناصر قوة إيران. وينقسـم الكتاب الذي ألفه الباحث في الشـأن الإيراني في المركـز عبـد الله يغين قسـمين: (عناصر قـوة إيران) و(نشاطات إيران الإقليمية). يقدّم الكتاب المكوّن من قرابة مئة وخمسـين صفحـة من القطع المتوسـط في كلا قسميه معلوماتٍ غزيرة، إضافة إلى المحتوى التحليلي.

في القسم الأول يقدم الكتاب عرضًا لمفهومي القوة الصلبـة والقوة الناعمة في العلاقـات الدولية، ويتناول في إطـار تحليلي مـدى حيازة إيران هـذه القوى، ونقاط ضعفها وقوتها، إضافةً إلى الفرص المتاحة في اسـتخدام أيّ منها. ويقدم الكتاب تحت عناوين مستقلة معلومات غزيرة في هذا الصدد، مستندة إلى إحصاءات وبيانات.

بـدأت عنـاصر القـوة الناعمـة في العـالم مـا بعـد الحداثـي تـؤدّي دورًا مهـمًّا في توجيه سياسـات الدول الداخليـة منها والخارجية. وقد أخذت إيران مدركةً ما

لديها من خزينة تاريخية، وقيم ثقافية ودينية/ مذهبية، باستخدام عناصر قوتها الناعمة، في إطار سعيها لتأمين المشروعية لسياساتها المتبعة. ولا بدّ من الإشارة إلى ما تمثله أدوات القوة الناعمة من أهمية في تحليل هوية إيران؛ فعناصر القوة الناعمة من قبيل "اللغة، والدين، والإثنية، والثقافة، والتمثيل السياسي، وجمعيات الصداقة، وقنوات التواصل الإعلامي، والجامعات، والمؤسسات الإيرانية، ومؤسسات اللغة الفارسية" تُظهر بشكل واضح إمكانيات إيران في هذا الصدد. ومن أكثر النّقاط المثيرة للانتباه في هذا الفصل إشارة الكاتب إلى كيفية تحول عناصر القوة الناعمة لدى إيران في إطار تاريخي إلى (أدوات إيديولوجية) و(مشتركات ثقافيةً، وتاريخية، ولغوية ودينية). كما ناقش الكاتب بشيءٍ من التفصيل سياسة إيران في تصدير الثورة والتوسع إقليميًّا في إطار سياسة التوسع للثورة الإسلامية في إيران، السياسة التي قد تعدّ من خواصّ أي ثورة. وينتقد الكاتب مفهوم إيران في تصدير الثورة تحت ثلاث مراحل أو عناوين: (تصدير الثورة بشكل مباشر)، و(التصدير الثقافي للثورة)، و(أيديولوجيا محاصرة الآخر). ويظهر الكاتب في سياق نقاشه هذه العناوين الثلاثة كيفية فقد فكرة تصدير الثورة لبعدها العالمي لتستقر في بعد ثقافي (إيراني)، فاتحة المجال لتحول مفهوم تصدير الثورة من إعطاء الأولوية لـ(الأمة) إلى (سياسات أمنية موجهة لحماية الثورة).

في السنوات الأخيرة أصبحت إيران لاعبًا أكثر ظهورًا في مناطق الأزمات وساحات الصراعات، ولذلك يكتسب تحليل العناصر التي تستند إليها إيران في قوتها الصلبة ونقاط قوتها وضعفها في هذا الصدد أهمية كبيرة. ولهذا الهدف بحث الكاتب تحت عنوان (القوة الصلبة لإيران) عناصر هذه القوة، بشكل مشابه لاستعراض القوة الناعمة لإيران. وبحث الكتاب عددًا من المقاربات النظرية التي تتناول الموقع الجيوسياسي لإيران، مؤكّدًا الدور الذي يؤدّيه الموقع الجغرافي والجيوسياسي لإيران في تحديد سياستها الخارجية. ومن جهة أخرى، يدعي الكاتب تمتّع الموقع الجيوسياسي لإيران بميزتين أساسيتين، هما: (سواحل طويلة تسيطر على مواقع إستراتيجية) و(السيطرة على خزان الطاقة بين الخليج العربي وبحر قزوين). ويستعرض الكاتب في سياق إعطاء أهمية للبعد الجيوسياسي للطاقة وبالاستناد إلى معطيات وإحصائيات- تحوّل الجغرافيا السياسية إلى جغرافيا الطاقة في حالة إيران. إضافة إلى هذا، يفرد الكاتب مساحة تفصيلية في سياق الحديث عن قدرة إيران الحربية وإستراتيجيتها الدفاعية لاستعراض استخدام إيران تقنيات الحرب غير التقليدية، والصناعات التسليحية التي طورتها في مواجهة الحصار الدولي. ويظهر من خلال هذا الاستعراض، كيف لعبت إيران ولاتزال تلعب كرت الحروب بالوكالة، وتقنيات الحرب غير التقليدية في ساحات الصراع التي توجد فيها الفواعل من غير الدول بشكل فعال، وذلك منذ أواخر ثمانينيات القرن الماضي. وتعمّل إيران على تجاوز ضعفها في تقنيات الحرب التقليدية من خلال تحويل أدوات قوتها الناعمة إلى أدوات للقوة الصلبة إذا دعت الحاجة لذلك؛ لكن في الوقت ذاته يشير الكاتب إلى نقاط ضعف إيران في هذا الصدد، الناتجة عن التناقض بين خطابها من جهة وخطواتها على الأرض من جهة أخرى، وكذلك نتيجةً للقصور في إمكانياتها المادية.

في القسم الثاني من الكتاب يعمل الكاتب على إسقاط المعلومات والأطر النظرية التي استعرضها في القسم الأول لتحليل وقراءة ادعاءات إيران حول قدراتها بوصفها (لاعبًا مؤسِّسًا للنظام الإقليمي)، وذلك من خلال استعراض دور إيران في أربع دول، هي: (لبنان، وأفغانستان، والعراق، وسوريا). ويناقش الكاتب الأدوات وعناصر القوة التي تستخدمها إيران في كل دولة من هذه الدول على حدة.

بداية يستعرض الكاتب السياسة الإيرانية تجاه لبنان، التي يؤدّي حزب الله دورًا محوريًّا فيها، حيث يبحث الكاتب الخلفية التاريخية والتنوع الديني والمذهبي في إيران، والدور الذي أدّاه حزب الله في تشكيل العلاقة الإيرانية- اللبنانية. ويتناول الكتاب نموذج ودور حزب الله الذي أُسِّس عام 1982 بوصفه مثالًا على حروب إيران بالوكالة، وكيف يؤدّي هؤلاء الوكلاء دورًا في تحكيم النفوذ الإيراني في المنطقة. وينتقل بعدها الكاتب إلى استعراض الدور الإيراني في أفغانستان بشيءٍ من التفصيل، وتذبذب العلاقة بين الطرفين، التي تستند إلى تاريخ وثقافة ولغة مشتركة، إضافة إلى ميزات الموقع الجغرافي. ويشير الكاتب إلى الأهمية التي تمتاز بها العلاقة الأفغانية-الإيرانية، خاصة عند قراءتها في سياق البعد الجيوسياسي.

وفي جهة مقابلة، يتبوّأ البعد الجيو-ديني أهمية أكبر في تحليل وقراءة العلاقة الإيرانية-العراقية. ويستعرض الكاتب الدور السياسي للشيعة في العراق في أثناء حكم صدام وبعده. وكذلك يشير إلى علاقة التأثير المتبادل بين شيعة إيران وشيعة العراق في سياق التمايز بين شيعة العرب وشيعة العجم على خط التنافس بين النجف وقم. في الحالة الرابعة والأخيرة، يتناول الكتاب سياسة إيران وإستراتيجيتها الأمنية تجاه سوريا، التي يرى الكاتب أن روابطها المذهبية والأيديولوجية مع إيران ضعيفة، لكن الكاتب يرى أن العلاقة الثنائية تعززت نتيجة القلق الإيراني من زوال النظام في سوريا. وتحت عنوان (فدائيو الحرم)، يعدّد الكاتب القوات الميشلياوية والفصائل العسكرية المرتبطة بإيران الموجودة في سوريا والعراق.

يمثل الكتاب دليلًا لفهم عناصر القوة التي تستند إليها إيران، التي تدعي أنها تؤدّي دورًا مؤسِّسًا في منظومة المنطقة المتشكلة، في تحقيق حضورها في المنطقة بشكل بارز. كما أن الكتاب يشير إلى نقاط ضعف وقوة إيران، وكذلك إلى الفرص التي قد تتاح لها على المستوى المتوسط والبعيد. وعلى الرغم من تقديم الكتاب معلومات غزيرة وإسقاط للجانب النظري على أربع حالات (أربع دول في المنطقة)، إلا أن الكاتب كان سيعطي بعدًا إضافيًّا ويوسع الإطار الجغرافي لتحليل أدوات القوة الصلبة والناعمة في سياسة إيران الخارجية لو تناول مثالًا من خارج المنطقة (من خلال طرح سياسة إيران تجاه دولة في وسط آسيا، أو في أمريكا اللاتينية على سبيل المثال). لكن من المؤكد أن الكتاب أعطى صورةً متكاملةً عن استخدام إيران لأدوات القوة الصلبة والناعمة، وكيفية تكامل هذه الأدوات في صنع السياسة الخارجية.